القصة في القرآن

د/عبد الحميد محمود البطاوي
مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

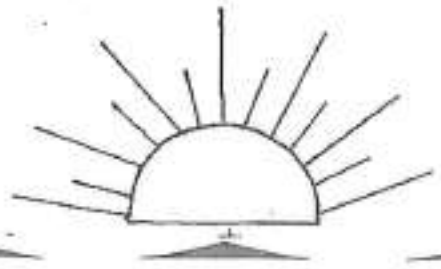

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه آمين .

أما بعد:-

فالحديث عن القصة في القرآن يسرح بالعقول السليمة إلى الآفاق العظيمة ويطرب الأرواح ويخرجها من عالم الأشباح ، إلى حدائق الأفراح ،وينير القلب بمحبة الرب ، ويلفت البصر إلى سائر العبر. القصص في القرآن لها سلاسة الماء ورقة الهواء ورفعة السماء وليس الخبر كالعيان فهاك الدليل والبرهان ودونك الحديث عن القصة في القرآن !

القصة في اللغة : الخبر وهو القصص يقال قص عليه الخبر قصا وقصصا أعلمه به وأخبره . والقصة : الأمر والحديث . (قال ابن عاشور والقصة الخبر عن الحادثة غائبة عن المخبر بها . فليس ما في القرآن من ذكر الوقائع الحادثة وقت نزوله قصصا – وهو اصطلاح للعلامة الطاهر ابن عاشور وليته يشتهر–

والقصص بالكسر جمع القصة التي تكتب . يقال القصص : بالفتح اسم للخبر المقصوص وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه (١) . فيكون بمعنى القصة . وقد يكون القصص بالفتح مصدرا بمعنى الاقتصاص أي المنطق فعلى هذا يكون قوله تعالى (أحسن القصص) أي أحسن الاقتصاص فالحسن يرجع إلى المنطق لا إلى القصة وحسن المنطق كونه على أبدع طريقة وأعجب أسلوب أما على المعني الأول فيراد بالقصص المقصوص كما يراد بالنبأ والخبر : المنبأ والمخبر فالحسن يرجع إلى القصة (٢) . وقد حفل القرآن بذكر القصص بل القصص بل قد سمي سورا بأسماء أنبياء ذكر قصصهم فيها كما في سورة يونس ، هود، يوسف ، إبراهيم ، نوح أو قصص الصديقين :مريم ،آل عمران أو أقوام : الكهف ، الجن.

---

١ – مختار الصحاح مادة (قص) : ص ٢٥٤ – التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٦٤/١ ، تاج العروس ٩٨/١٨ ، اللسان ٧٣/٧ ، ٧٤

٢ – غرائب القرآن : ص ١٢ /٩٨

قواعد و ضوابط ترتبط بموضوع القصة:-

١- لا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة ، فيشترط عند تفسير الآيات المتعلقة بالقصة القرآنية التي تتحدث عن الأمم السابقة أن تحمل الألفاظ على حقيقتها و يمتنع فيها المجاز ؛حتى لا نفتح باباً لأهل الأهواء فيصرفون اللفظ عن حقيقته و ظاهره بحجة المجاز مع أنه لا داعي له . فقد ادعى بعضهم أن قصص القرآن تمثيل لبعض الأمور و لا واقع لتلك القصص و إنما هو خيال و تمثيل فنقول : إن ما ورد في القرآن من تلك القصص لا مجاز فيها و لا تمثيل **بل هي وقعت بالفعل** .

٢- ويشترط لفهم قصص القرآن أن نفهم من خلال هيمنة القرآن على الكتب السابقة قال القاضي أبو بكر بن العربي : في دستور قصص القرآن وذلك أن الله ذكر لرسوله ما جرى من الأمم وعليها ،وأقوال الأنبياء وأفعالها فأحسن القصص وهو أصدقه ؛ فإن الإسرائيليات ذكروها مبدّلة وبزيادة باطلة موصولة ،أو بنقصان محرّف للمقصد منقولة – وذكر حديث نقش الخنم مثالا علي ذلك – فقال وما نقل من حديث نقش الخنم وقضاء داود و سليمان فيها انظروا إليه فما وافق منه ظاهر القرآن فهو صحيح ، و ما خالفه فهو باطل ،و ما لم يرد له ذكر فهو محتمل ربك أعلم به (١). ونقل القاسمي عن ولى الله الدهلوي أن شرط المفسر أمران الأول ما تعرض له الآيات من القصص فلا يتيسر فهم الإيماء بتلك الآيات إلا بمعرفة تلك القصص .

والثاني : ما يخصص العام من القصة أو مثل وجوه صرف الكلام عن الظاهر فلا تيسر فهم المقصود من الآيات بدونها وقال أيضا إن قصص الأنبياء السابقين لا تذكر إلا على سبيل القلة أما القصص الطويلة العريضة فهي كلها منقولة عن علماء أهل الكتاب ...ثم قال القاسمي: فإذاً لا يخفى أن من وجوه

---

١ أحكام القرآن ١٢٥٤/٣(طبعة الحلبي)

التفسير معرفة القصص المجملة في غضون الآيات الكريمة وقسم القصص إلى قسمين فقال : ثم ما كان منها غير إسرائيلي كالذي جرى في عهده (ﷺ) لو أخبر عنه فهذا تكفل ببيانه المحدثون وقد رووه بالأسانيد المتصلة فلا مغمز فيه وإما ما كان إسرائيلياً وهو الذي أخذ جانباً وافراً من التنزيل ،فقد تلقى السلف شرح قصصه أما مجملا استفاض على الألسنة ودار من نبئهم وإما من المشافهة عن الإسرائيليين الذين آمنوا وهؤلاء كانوا تلقفوا أنباءهم عن قادتهم وقال : إن في تلك القصص الواهيات بمرة والموضوعات مما استبان لمحققي المتأخرين(١).

قال ابن كثير رحمه الله : لما أسلم كعب الأحبار في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضى الله عنه عن كتبه قديماً فربما استمع له عمر فترخص الناس في استماع ما عنده عنه عنها وسمينها وليس لهذه الأمة حاجة إلى حرف واحد مما عنده انتهى (٢) .

وقد قال – أيضاً أي – ابن كثير: عن الإسرائيليات إنها تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد وإنها على ثلاثة أقسام .أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

الثاني : ما علمنا كذبه مما عندنا ما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم (يعنى الروايات التي تجيز ذلك) وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني انتهى (٣) .وبناء على هذا

---

١ – مقدمة محاسن التأويل للقاسمي : ١/ ٤١ .

٢ – محاسن التأويل للقاسمي : ١٤/ ٥١٠٧ .

٣ – مقدمة محاسن التأويل للقاسمي : ١ /٤٠ – ٥٠ تصرف واختصار والبداية والنهاية ١ / ١١ .

الجواز لحكاية الإسرائيليات فقد نقل الإمام القاسمي عن ابن حزم قوله : إن الله تعالى كما أطلق أيديهم في تبديل ما شاء رفعه من ذينك الكتابين كف أيديهم عما شاء إبقاءه من ذينك الكتابين حجة عليهم كذلك.

واستشهد الإمام القاسمي على ذلك بما حققه الإمام البقاعي صاحب المناسبات ومن أدلة الإمام البقاعي على الجواز قول الله تعالى للاستشهاد على كذب اليهود ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (٢) .وذكر الإمام البقاعي أيضا حديث الجساسة الذي رواه مسلم (٣) . وعدة أحاديث تدل على الجواز في هذا فيما يصدقه كتابنا .

أما مالاً يصدقه ولا يكذبه فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) قال "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " ورواه مسلم والترمذي والنسائي عن أبي سعيد رضي الله عنه (٤) . وهو معنى ما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله (ﷺ) لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) الآية (٥) . فإن دلالة هذا على سنية ما ذكر مثل ذلك أقرب من الدلالة على غيرها ولذا أخذ كثير من الصحابة رضي الله عنهم عن أهل الكتاب .... وإن قيل إن أئمة الشافعية منعوا من قراءة شئ من الكتب القديمة فقال له هذا مخصوص بما علم تبديله بدليل أن كل من قال ذلك علل بالتبديل فمدار الحكم معه ونص الشافعي

---

١ - آل عمران : ٩٣ .

٢ - المائدة : ٤٨ .

٣ - صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة قصة الجساسة : ٧٨/١٨ ــ ٨٤ .

٤ - البخاري كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل : ٥٧٢/٦ .

٥ - نحوه أبو داود ٣١٧/٣ .

ظاهر في ذلك حيث قال وما كان من كتبهم إلى الكفار فيه طب ومالاً مكروه فيه بيع وما كان فيه شرك يطل وانتفع بأوعيته ونحو ذلك "الأم" ومما استدل به أيضا فتوى الإمام المتولي وأقرها النووي بأن من ظن أن فيها شيئاً غير مبدل كره مس المحدث لها قال البقاعي: فكراهة المس للاحترام فرع جواز الإبقاء والانتفاع للقراءة وذكر ما حققه شيخه الإمام ابن حجر حيث قال : وآخر ما حط عليه ــ أي ابن حجر ــ التفرقة بين من رسخ قدمه في العلوم الشرعية فيجوز له النظر في ذلك فإنه يستخرج منه ما ينتفع به المهتدون وبين غيره فلا يجوز له ذلك. وأيده بنظر الأئمة فيها قديماً وحديثاً والرد على أهل الكتابين بما يستخرجونه منها قولا جواز ذلك ما أقدموا عليه . قد ذكر الإمام ابن حجر أن الإمام أبو جعفر ابن المنادى قد قرر أنه لا يوثق بالنقل فيما يوجد من الإسرائيليات (١) .

أما عن تحريف الكتابين فإن الإمام القاسمي ذكر أقوال العلماء في ذلك عن ابن حجر الأول ــ إنها بدلت كلها ولكن ابن حجر قال : وهو إفراط وينبغي حمل [illegible] على الأكثر و إلا فهي مكابرة والأخبار كثيرة في أنه بقى منها [illegible] .

ثانيها : أن التبديل وقع ولكن في معظمهما وأدلته كثيرة وينبغي حمل الأول عليه.

ثالثها : وقع في اليسير منها ومعظمهما باق على حاله .

رابعها : أنه وقع التبديل والتغيير في المعاني لا في الألفاظ .

---

١ – الفتح : ٨/ ٢٦٨ .

ثم قال الإمام القاسمي : وبالجملة فكتب الكتابيين كأقوالهم لا يعتمد عليها كلها لظهور الكذب والتناقض فيها إلى اليوم ولظهور تلفيقها ــ ككتب القصص عندنا فيها شئ من القرآن والسنة ولكنه ممزوج بالأكاذيب والآراء المقتبسة من الأمم ثم إن موافقة القرآن الكريم أو الحديث الصحيح لبعض ما في كتبهم دون بعض يدل على أن الله تعالى بين له حق كلامهم من باطله وصدقه من كذبه وهذا معنى قوله تعالى : (ومهيمناً عليه) .

قال : بعضهم لاشيء يعول عليه في صحة بعض أقوال كتب اليهود دون بعض بعدما طرأ عليها من الضياع والتحريف والخلط إلا الوحي وقد ثبتت نبوة محمد (ﷺ) بالدلائل الساطعة والآثار النافعة .انتهى. فيعقب القاسمي ويقول : فعلى وحيه المعوّل فالحمد لله الذي وفقنا لاتباعه (١) . قال أبو بكر ابن العربي وفي الإسرائيليات كثير ليس لها ثبات ولا يعوّل عليها من له قول (٢) .

هذا وقد سأل شيخنا الإمام القاسمي الأستاذ الإمام : محمد عبده عما ذكر البقاعي في تفسيره من أقاصيص الكتابيين نقلاً عن كتبهم فقال الإمام محمد عبده : لا أرى أن يتمم كتابنا في كتبهم لأن في إجمال التنزيل كفاية ومقنعاً .

قال : ومحاولة ذلك لا داعي لها إذ لو كان في بسطه خير لنا لقص علينا. قال: وينبغي أن يطالع كتبهم لتستعين منها بالرد عليهم لا أن نستمد منهم .

قال : وقد صرفت ردحاً من الزمن فيها لتلك الغاية. قال : بل إن اعتقد صحة قصصهم وقعنا في إشكال فإنهم يزعمون أن قصة جالوت وقصة الشرب من النهر كانتا في عصرين متباعدين والتنزيل قص ذلك في وقعة واحدة وهو

---

١ – مقدمة محاسن التأويل للقاسمي : ١/٤٤ ــ ٥٠ .

٢ – أحكام القرآن ٢/٨٠٨ .

الحق الذي لا مرية فيه فإن ما لديهم لا يوثق به هذا مذهبه في ذلك ولي بحث أوردته في مقدمة التفسير في هذه المسألة فليراجع (١) .

٣ – وعند الحديث عن قصص القرآن لا يجوز أن يقال (حكى الله) لأن الحكاية الإتيان بمثل الشيء وليس لكلامه تعالى مثل .وإن تساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الإخبار (٢) .

٤ – لا تحمل مفاهيم الألفاظ القرآنية إلا على المفاهيم النبوية وما فهمه الصحابة من النبي (ﷺ). فمن فسر الجنة التى أسكن الله إياها آدم بأنها في الدنيا من أرض السند أو بأي مكان آخر، فقد قال مالا علم له به وما لم يقله أحد من السلف بل أخذه من أهل الكتاب الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني .

٥- ولا يقال بنبوة نبي إلا بما ورد عن المعصوم فلا يقال بنبوة أحد من النساء ؛ لأن ما عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبيا إلا من الرجال : فالسيدة مريم عليها السلام ليست بنبية ، و إنما هي صديقة قال تعالى : ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ (٣) قال ابن كثير : دلت الاية على أن مريم ليست بنبية كما زعمه ابن حزم و غيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم اسحق ونبوة أم موسى ونبوة أم عيسى–استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم وبقوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (٤) و هذا معنى النبوة والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبيا إلا من الرجال قال الله

---

١ – جمال الدين القاسمي وعصره لظافر القاسمي ١٤٥، ١٤٦ .

٢ – الإتقان في علوم القرآن ١٩٩/٤ .

٣ – المائدة : ٧٥ .

٤ – القصص : ٧ .

تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ (١) وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع على ذلك انتهى (٢) .

و كذا القول بنبوة أخوة يوسف - قال ابن حزم :لم يكونوا أنبياء ولا جاء قط في أنهم أنبياء نص لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا من إجماع ولا من قول أحد من الصحابة رضى الله عنهم. و قال ابن كثير : اعلم أنه لم يقم دليل علي نبوة أخوة يوسف وظاهر السياق يدل على خلاف ذلك ومن الناس من يزعم أنهم أوحى إليهم بعد ذلك - أي بعد إلقاء يوسف في الجب و توبتهم - و في هذا نظر و يحتاج مدعي ذلك إلى دليل ولم يذكروا سوى قوله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ﴾ (٣) ، وهذا فيه احتمال لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم الأسباط كما يقال للعرب قبائل و للعجم شعوب ، يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل فذكرهم إجمالا لأنهم كثيرون و لكن كل سبط من نسل رجل من أخوة يوسف و لم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم و الله أعلم (٤) .

٦ - ويشترط عند تفسير العلم الأعجمي ألا يلتمس العلم الأعجمي من غير لغة صاحب العلم كمن فسر يوسف بأنها من الأسف كأن يوسف مشتقة من "يؤسف "لأن يوسف كان سببا في أسف أبيه . وكمن فسر "أيوب " بأنه الأواب أي كثير الرجوع إلى ربه . وكمحاولة اليهود لتفسير اسم سيدنا موسى على لغتهم مع أن الذي سماه هم آل فرعون فهو اسم هيروغليفي لا عبري كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى .ونقول إن الإمام السيوطي قد عد من وجوه إعجاز

---

١ - يوسف : ١٠٩ .

٢ - تفسير ابن كثير ٢/٨١ ، محاسن التأويل للقاسمي: ٦/٢١٠٢ ،الفصل ٥/٨٧

٣ - البقرة : ١٣٦ .

٤ - تفسير ابن كثير ٢/٤٧٠،٤٦٩، ،الفصل ٤١ / ٣٦ ، ٣٧ لمحاسن : ٩ /٣٥١٥ .

القرآن لحتواؤه على جميع لغات العرب لغة الفرس والحبشة وغيرهم وذكر رحمه الله أنه ألف كتابا سماه "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب" وهذا الوجه تزداد وجاهته عندما تدمج فيه وجهاً أخر ألا وهو تفسير العلم الأعجمي المذكور في القرآن بالقرآن وهذا ما قام به الأستاذ رؤوف أبو سعدة وسوف ننقل عنه ما ألهمه الله به وما فتحه الله عليه ليس لأهمية ما توصل إليه فقط بل ولانفراده بتلك المحاولة الرائعة الفريدة الصائبة وما نقوم به هو تدعيم ما توصل إليه بقدر الطاقة للتدليل على صحة ووجاهة ما توصل إليه ولنبرهن على محاولة كثير من العلماء تفسير العلم الأعجمي بقدر ما علموه فهو ليس بدعا في هذا الموضوع الهام .

٧ _ لا يوضح المبهم إلا ما صح سنده عن المعصوم (ﷺ) أو ما قام عليه دليل صحيح أو ما لا ينبذه علم صحيح .

فوائد ذكر القصص :ـ

١- من فوائد ذكر القصص: العظة والاعتبار وتثبيت الفؤاد. قيل لأبي القاسم الجنيد قدس روحه ونور ضريحه :ما للمريدين في مجارات الأحكام ؟ فقال الحكايات جند من جنود الله تعالى تقوى بها قلوب المريدين .قيل له فهل في ذلك شاهد فقال رضى الله عنه :نعم قوله تعالى : "وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك" (١) والواعظ إذا أحسن عرض القصة القرآنية وأخلص النية لله واستلهم روحها من القرآن كان له أكبر الأثر في قلوب السامعين. {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب } . ويقول الأستاذ /عمر عبد اللطيف مشتهري عن والده كان يخطب بمسجد العجان باللاذقية واستخدم في جذب الشباب أسلوباً جديداً فكان يضع لافتات كبيرة وقد كتب عليها "غرام وانتقام في

---

١ – نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الخواطر في حكايات الصالحين للإمام عفيف الدين أسعد اليافعي اليمني (التوفيقية) .

سورة يوسف" وما شابه ذلك و بالفعل نجح هذا الأسلوب في جذب انتباه الشباب وجعلهم يدخلون المسجد حتى إن أصحاب دور السينما أفلسوا وذهبوا قائلين إن أسلوبك هذا جعل الشباب ينصرف عنا (١) . وللفائدة فقد قال الكرماني: في قوله تعالى (أحسن القصص) قيل هو قصة يوسف: سماها أحسن القصص لاشتمالها على ذكر حاسد ومحسود ومالك ومملوك وشاهد ومشهود وعاشق ومعشوق وحبس وإطلاق وسجن وخلاص وخصب وجدب وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق (٢) .

٢ – ومنها تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته ببيان أن إعراض الناس عن قبول الحق والإذعان له إنما هو سمة عامة في جميع الأمم السابقة و المصيبة إذا عمت خفت حتى إن من يقرأ تلك القصص يردد قول أصدق القائلين ﴿ أتواصوا به ﴾ الذاريات : ٥٣ فإذا كان حال الأمم هكذا كان ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لا سيما وأنه كان إذا أوذي يتذكره ويقول (رحم الله أخي موسى .....

٣ – و من فوائد ذكر القصص: إثبات الوحي والرسالة فإنباؤه– (ﷺ)– عن الوقائع الخالية وأحوال الأمم والحال أنه (ﷺ) كان أميا لا يقرأ ولا يكتب لاستغنائه بالوحي وليكون وجه الإعجاز بالقبول أحرى وما ورد فيه من أحوال القرون السالفة والأمم البائدة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفرد من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ولم يؤثر أن واحدا أظهر خلاف ما جاء به القرآن فهذه القصص دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فإذا ذكر هذه القصص على الوجه من غير تحريف ولا خطأ دل ذلك على أنه إنما عرفها بالوحي من الله تعالى لأن الإخبار عن أمور غيبية،ظهرت كما أخبر دليل

---

١ – جريدة صوت الأزهر السنة الثانية العدد ٥٤ الجمعة ٨ رجب ١٤٢١ هـ – ٦ / ١٠ / ٢٠٠٠ ص (١٦) .

٢ – معترك الأقران ١/٣٦٥ .

يُكسر شوكة المشككين ويزيل دعائم الفتنة ومنبع الضلالة لأن الإخبار بالغيب لا يخبر به إلا من علم السر وأخفى .

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ آل عمران ٤٤ ، ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا ﴾ هود : ٤٩ .

٤ - والقصة وسيلة من وسائل تثبيت الأحكام : قصص القرآن هو (القصص الحق) فما من قصة من قصص القرآن إلا وهي مسوقة لتدعيم مبدأ،أو أصل ، أو حكم شرعي بل ربما سيقت لتدعيم العديد منها معاً ، مثال ذلك قصة البقرة التي سميت السورة باسمها فانظر كيف سميت بهذا الاسم مع أنها أطول سور القرآن فلم تسم مثلاً بسورة الكرسي ولا الإحياء ولا غير ذلك مما نظنه أقرب إلى روح السورة فمن الدواعي التي دعت إلى تسميتها بهذا الاسم أن الله تعالى يوضح لجماعة المسلمة (الأمة و الحكومة) من أول الطريق خطورة الأمر ،ويجسم لهم -عن طريق القصة- ما ينبغي أن تتلقى به شرائع الله كلها،من استجابة، وانقياد،وخضوع،بلا مماحكة ولا مماراة،وبلا تعمق ولا تتطع،وبلا تفحص ولا إعنات... كأنه يريد أن يقول لهم عن طريق قصة واقعية صادقة - جعلت علماً على السورة الجليلة-هؤلاء بنو إسرائيل شددوا فشدد الله عليهم ،وتماروا في أمر الله عز وجل فلاقوا العنت جزاءً وفاقاً ، ولم يصيخوا لأمر نبيهم صلى الله عليه وسلم حين قال لهم (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) ، وحين سارع بعد أول مراجعة يقول لهم (فافعلوا ما تؤمرون) .. فكان نتيجة هذا الخلق الذي استحكم فيهم أن تردوا في كل باطل ، واستخفوا بشريعة الله عزوجل ، حتى وصلوا إلى ما قاله عز وجل عقب قصة البقرة نفسها (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) وحتى قتلوا الأنبياء بغير حق ، وكفروا بآيات الله عز وجل بل كفروا به سبحانه وتعالى عما يقولون علوا

كبيرا...إن هذه القصة- معنى وتسمية - هي نداء جهير لهذه الأمة حتى لا تسلك مع تعاليم الله عز وجل مسلك بني إسرائيل (١) .

٥- ومنها بيان عاقبة المنكرين من اللعن في الدنيا والخسارة في الآخرة وعاقبة المحقين إلى الدولة في الدنيا والسعادة في الآخرة وذلك يقوي قلوب المحقين ويُكسر قلوب المبطلين . فإنه تعالى ذكر في هذه القصص مصارع المكذبين ونجاة المؤمنين ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ العنكبوت ٤٠ ففيها التنبيه على أنه تعالى وإن كان يمهل هؤلاء المبطلين لكنه لا يهملهم بل ينتقم منهم (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (٢) .

٦ - ومنها أنها منهاج للدعاة فالداعية الناجح يستمد منهجه من مناهج دعوة رسل الله تعالى فهي نبراس له يقتدي بهم لا سيما وقد أمر الله تعالى نبيه (ﷺ) أن يقتدي بهم (أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده) .

فحري بالدعاة أن يعيشوا دعوة الرسل ويعرفوا الدروس والعبر ويستفيدوا من حججهم وأساليبهم في الدعوة ومنبع الدعاة وغذاؤهم هو القصص القرآني . فيجد الداعية أن الرسل كما قص الله نبأهم كانوا يلتزمون بمقومات دعوية ، يسلكون صراطا مستقيما فكانت دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة .كما أن الدعاة يقتدون بطريقة رسل الله في الدعوة إلى الله فيبدؤون بالأهم ثم المهم. فكان أهم المهمات تطهير القلوب والعقول من ضلال الشرك وإرشادهم إلى وحدانية

---

١ - المنهاج القرآني في التشريع أ.د/ عبد الستار فتح الله سعيد صـ٧٣٠-٧٣٨

٢ - الرازي ١٥٨/٦ .

الله جل في علاه. كما أن في تلك القصص فوائد جمة لمن تدبر فقد قال أبو بكر بن العربي إنه أملى على قصة موسى والخضر ثمانمائة مسألة (١) .

٧ - ومن فوائد ذكر القصص ما عبر عنه علامة الشام جمال الدين القاسمي قائلا وأفضل الفوائد وأهم العبر فيها : التنبيه على سنن الله تعالى في الاجتماع البشري وتأثير أعمال الخير والشر في الحياة الإنسانية وقد نبه الله تعالى على ذلك في مواضع من كتابه كقوله : ﴿ **وقد خلت سنة الأولين** ﴾ الحجر : ١٣ وقوله : ﴿ **سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ** ﴾ غافر : ٨٥ يذكر أمثال هذا بعد بيان أحوال الأمم في غمط الحق والإعراض عنه والغرور بما أتوا ونحو ذلك .

ثم يقول القاسمي إن قصصه شذور من التاريخ تعلم الناس كيف ينتفعون بالتاريخ ولكن مثل ما في القرآن من التاريخ البشري كمثل ما فيه من التاريخ الطبيعي من أحوال الحيوان والنبات والجماد ومثل ما فيه من الكلام في الفلك يراد بذلك كله التوجيه إلى العبرة والاستدلال على قدرة الصانع وحكمته لا تفصيل مسائل العلوم الطبيعية والفلكية التي مكن الله البشر من الوقوف عليه بالبحث والنظر والتجربة وهداهم إلى ذلك بالفطرة والوحي معا (٢) . وهذه الفائدة ما عبر عنها غيره بالعظة والاعتبار كما هو ظاهر ولكن عرضه -رحمه الله- أوضح .

٨ - كما أنها ترشد إلى وحدة الرسالة فرسالة الأنبياء واحدة في أصولها ودعوتهم واحدة أنهم يدعون إلى الإسلام إنهم مسلمون فقد كان كل نبي يقول لقومه : ﴿ **يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ** ﴾ الأعراف ٥٩،٦٥،٧٣،٨٥ وغير ذلك مما يطول ذكره من الفوائد العظيمة .

---

١ - التحرير و التنوير ١/٤٢ .

٢ - مقدمة محاسن التأويل : ١٤ ، ١٥ بتصرف .

٩ – ومنها أن آداب الشريعة معرفة تاريخ سلفها في التشريع من الأنبياء بشرائعهم فكان اشتمال القرآن على قصص الأنبياء وأقوامهم تكليلاً لهامة التشريع الإسلامي بذكر تاريخ المشرعين قال تعالى : ﴿ **وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير** ﴾ الآية آل عمران: ١٤٦ وهو مما فتح الله به على العلامة ابن عاشور(١).

ثم إن قصص الأنبياء تذكر للأغراض السابقة حسبما تقتضيه الحاجة وما من قصة تذكر في سورة إلا وأفادت معني ما علمه الله من يشاء وحجبه عمن شاء والله أعلم حيث يجعل رسالته (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) كما أن هناك قصصا تذكر من غير أن تصرح بالأسماء كما في قصة أصحاب القرية في سورة (يس) حيث لم يصرح القرآن بذكر أسماء المرسلين وتارة نجد أن القرآن يشير إلى أن هناك قصصا من قصص المرسلين لم يذكرها لعدم الحاجة إلى ذكرها لوجود قصص تشبهها أو اختصار امتحاناً .

قال تعالى : ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** ﴾ النساء ١٦٤ فإذا مر عليك خبر من الأخبار وفيهالحديث عن فلان النبي أو الرسول أمسكت فإن جاء الخبر عن المعصوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإلا أمسكت عن الكلام لا تصدق ولا تكذب مثل ما ورد في التوراة من القول بنبوة بلعام ابن باعور (في سفر العدد) فإننا لا نستطيع أن نصدق هذا أو نكذبه.بل قال ابن حزم بعد أن ذكر بعض ما ذكر من القول بنبوة بعض الأنبياء من بني إسرائيل بتحديد أسمائهم مثل شموال ، إيراث ، حداث ، حقاي ، حبقون ، ميسخا ، ناحوم وغيرهم قال : ونحن لا نصدق نقل اليهود في شئ من ذلك بل نقول إنه كان له تعالى أنبياء في بني إسرائيل أخبر بذلك الله تعال في كتابه المنزل على نبيه الصادق المرسل، فنحن نقطع بنبوة من سمى لنا منهم،ونقول في

---

١ – التحرير و التنوير ١/٦٥ .

هؤلاء الذين لم يسم لنا محمد صلى الله عليه وسلم ،الله عز وجل أعلم إن كانوا أنبياء فنحن نؤمن بهم ،وإن لم يكونوا أنبياء فلسنا نؤمن بهم ،آمنا بالله وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله (١) .

سمات القصة في القرآن

١ - القصص : القرآني ينفخ في قصصه حياة تبعثها فترى الأشخاص وتعيش الأحداث وتنبض بالإحساس كأنك فرد تعيش في أجواء القصة المذكورة إن لم تشعر أنك شخصا من أشخاصها وأبطالها ! وما ذلك إلا بسبب إعجاز القرآن وصدق الأخبار .يقول الشهيد سيد قطب : إن التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها فتستحيل القصة حادثا يقع ومشهدا يجري ، لا قصة تروي ولا حادثا قد مضى . ويؤكد رحمه الله على هذا فيقول : إن هذا التصوير في المشاهد القصة ألوان : لون يبدو في قوة العرض والأحياء ولون يبدو في تخييل العواطف والانفعالات.ولون يبدو في رسم الشخصيات. وليست هذه الألوان منفصلة . ولكن أحدها يبرز في بعض المواقف ويظهر على اللونين الأخرين فيسمى باسمه (٢) .

ويقول الأستاذ رؤف أبو سعدة :الحدث المروي في القرآن لا يسرد عليك كما يسرد الخبر . ولكنه على خلاف ما تجد في التوراة والإنجيل – يُبْعث لك من غياهب التاريخ حيا نابضا مشخصا وإذا أنت في قلب الحدث تسمع وترى وقد صوبت المسافات واستدار الزمن . تجد قريبا من هذا في قصة نوح مع قومه (الآيات ٢٥/٤٨ من سورة هود) حين بلغ الحدث ذروته فتحسب أنك من رُكاب السفينة مع نوح وهي تجري بك في موج كالجبال . وربما اشتد بك الحضور فهممت أن تمد يدك إلى قمة جبل حاذاه الماء ، تريد أن تلتقط الابن العاق وهو

---

١ - الفصل ١/١٦٠ .

٢ - التصوير الفني : ١٩٠ .

يغرق ولكن موجة عاتية تحول دونك فتسترجع ويسترجع نوح ، فقد نهي عن ذلك من قبلك ولا يفرخ روعك إلا بانتهاء المشهد وقوله عز وجل ﴿ **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك** ﴾ هود: ٤٩ (١) .

٢ ـ التصوير :

التصوير – كما يرى الشهيد سيد قطب – هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن . فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ؛ وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية . ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة . فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد وإذا النموذج الإنساني شلخص حي ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية . فأما الحوادث والمشاهد ، والقصص والمناظر . فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة ؛ وفيها الحركة فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركات وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى ومثل يضرب ويتخيل أنه منظر يعرض وحادث يقع ... إنها الحياة هنا ، وليست حكاية الحياة ...ويقول رحمه الله عن التصوير فليس هو حلية أسلوب ولا فلتة تقع حيث اتفق . إنما هو مذهب مقرر وخطة موحدة . وخصيصة شاملة وطريقة معينة يفنن في استخدامها بطرائق

---

١ – من إعجاز القرآن (العلم الأعجمي في القرآن مفسرا بالقرآن) ١٤٣/١ ، والمؤلف من خريجي جامعة الإسكندرية بدرجة الليسانس في الفلسفة وعمل بالأمم المتحدة بجنيف وآثرت تمثيله على تمثيل الشهيد سيد قطب لتعلم كيف أن يهب الله العلم لمن يشاء أما سيد قطب فهو نسيج وحده في هذا المجال ويكفيك كتابه الظلال ! .

شتى وفي أوضاع مختلفة ولكنها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة : قاعدة التصوير و يجب أن نتوسع في معنى التصوير، حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن . فهو تصوير باللون ،وتصوير بالحركة ، وتصوير بالتخييل ؛ كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل وكثيراً ما يشترك الوصف ، والحوار ، وجرس الكلمات ، ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملاها العين والأذن ، والحس والخيال و الفكر و الوجدان . وهو تصوير حيّ منتزع من عالم الأحياء لا ألوان مجردة وخطوط جامدة .تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات ،بالمشاعر والوجدانات . فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حي ، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة (١) . ثم عرض رحمه الله نماذج من القصص القرآني نذكر منها قصة إبراهيم فقال لنعرض مشهدا من قصة إبراهيم ، وهو يبني الكعبة مع ابنه إسماعيل ، وكأنما نحن نشهدهما يبنيان و يدعوان الآن ،لا قبل اليوم بأجيال و أزمان .(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت و إسماعيل إنك أنت العزيز الحكيم)

لقد انتهى الدعاء ، وانتهى المشهد ، وأسدل الستار . هنا حركة عجيبة في الانتقال من الخبر إلى الدعاء ، هي التي أحيت المشهد وردته حاضرا. فالخبر (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) كان كأنما هو الإشارة برفع الستار ليظهر المشهد : البيت ، وإبراهيم وإسماعيل ،يدعوان هذا الدعاء الطويل وكم في الانتقال هنا من الحكاية إلى الدعاء من إعجاز فني بارز، يزيدُ وضوحاً لو فرضت استمرار الحكاية ، ورأيت كم كانت الصورة تنقص لو قيل : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل يقولان : ربنا ... إلخإنها في هذه الصورة حكاية، وفي الصورة القرآنية حياة . وهذا هو الفارق الكبير . إن الحياة

---

١ – التصوير الفني في القرآن للشهيد سيد قطب ٣٦–٣٨ ولنا تحفظ على تعبير "موسيقى القرآن" فالموسيقى تمل و القرآن لا يمل. ويمكن أن يقال النظم الصوتي للقرآن .

في النص لتثب متحركة حاضرة . وسر الحركة كله في حذف لفظة واحدة .... وذلك هو الإعجاز (١) .

٣ – من سمات القصة القرآنية الصدق وشرف المقصد وسمو الغرض ونبل الأهداف التي تدعوا إليها. الفرق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية : لا ريب أن هناك فرقا بين القصة القرآنية والقصة الأدبية التي مصدرها البشر كالفرق بين القرآن وكلام البشر لأن كلام الله تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت : ٤٢ وأما كلام البشر فهو عرضة للنقائص التي تعتريهم وكلام الباري منزه عن كل العيوب والنقائص فلا ينفذ إلى القصص القرآني الخيال ولا الأسطورة ولا يهدف إلا إلى ما يصلح الإنسان في دنياه و آخرته (٢) . يقول العلامة القاسمي :ليس في القرآن شئ من التاريخ من حيث هو قصص وأخبار ، وإنما هي الآيات والعبر تجلت في سياق الوقائع. ولذلك لم تذكر قصة بترتيبها وتفاصيلها ، وإنما يذكر موضع العبرة فيها (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك)

وكل ما تراه في هذه التوراة التي عند القوم من القصص المسهبة والتاريخ المفصل من ذكر ولادة آدم وما بعدها ، فهي مما أُلحق بالتوراة بعد موسى بقرون . بل كتب أكثر تواريخ العهد القديم بعد السبي ورجوع بني إسرائيل (٣) .

---

١ – التصوير الفني في القرآن صـ٥٧ .

٢ – الآفاق الفنية في القصة القرآنية محمد ناجي شرح ص /١٣ الناشر دار المجتمع للنشر والتوزيع المدينة المنورة .

٣ – جمال الدين القاسمي وعصره لظافر القاسمي ص (٣٤٢) –دار مكتبة أطلس .

٤ـ ومنها الإيجاز:

القصص القرآني يمتاز بالإيجاز والاكتفاء بالعناصر الرئيسية دون التعرض للتفصيلات التي لا حاجة إليها والقرآن الكريم يتبع في إيجازه طريقان

أولهما : التعبير عن المعاني الكثيرة بعبارات قصيرة كما في قصة نوح فالآية الأولى ادت جميع المعاني التي تفيدها الفقرات المناظرة في قصة نوح في الإصحاحين السادس والسابع من سفر التكوين و علاوة على تضمين الآية كل المعاني التي في سفر التكوين فقد أضافت معلومات ليست في فقراته وخلت من التناقضات التي وقعت في التوراة نتيجة التكرار المعلومات في نصوص التوراة

ثانيهما الحذف : حذف الكلمات والعبارات التي يدل عليها السياق وذلك كما في قصة يوسف عليه السلام و غيرها من القصص والمحذوف في القرآن الكريم مما لا يحتاج إليه في تصوير الحادثة وذلك كأنواع الأحياء التي حملها نوح عليه السلام - في السفينة واكتفى بالتنوين في قوله **﴿من كل زوجين اثنين﴾** ولا داعي لبيانها على وجه التفصيل :القرآن الكريم من وحي الله تعالى أما العهد القديم والجديد فهي من فعل الكاتبين الا ما حفظه الله من تحريفهم و قد أوضح النقاد أن عمل أجيال عديدة تناقلتها أعادوا صياغتها واستخدموا عدة مصادر نصوغتها ( ) .

٥ - القصة القرآنية واقع يجب تصديقه (نبأ ما قبلنا) يجب الإيمان به : (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام ومع هذا فقد سرت بعض الأفكار الغربية على الأمة الإسلامية فصادفت قلبا خاليا فتمكنت منه وإن شئت قلت صادفت قلبا مريضا فطمع فيها وأذاعها ونشرها وكأنه مفكر جاء بما لم يجده من قبل (إن هذا إلا أساطير الأولين) ولأن الحق يدمغ الباطل

---

١ - استفد في ذكر هذه السمة من موضوع دراسة في الأسلوب القصصي في القرآن والتوراة د/محمد بحر عبد المجيد بحث نشر في مجلة كلية اللغات و الترجمة العدد الثاني ١٩٧٨ ص (٤٩) .

فيزهقه فلم نتأثر نحن الآن بتلك الشبه لأنها ذهبت جفاء ولم تبق إلا سيرتها لذا لن نفيض في ذكرها و الرد عليها فقد وكل بها قوما آخرين جهابذة مؤمنين ننقل من علمهم لتكون لنا حجة نزداد بها إيمانا ولمن احتاج إليها دواء وشفاء ولأعداء الدين حسرة وندامة . ونكتفي بردود بعض العلماء الذين نالوا شرف الدفاع عن قداسة القرآن وهم الإمام الشهيد حسن البنا في مجلة الشهاب الأسبوعية وفضيلة الشيخ العلامة محمد عرفة في كتابه (نقض مطاعن في القرآن الكريم)وحجة اللغة العربية الأستاذ الأديب / محمد صادق الرافعي في كتاب تحت راية القرآن .

يقول الأستاذ حسن البنا : ويتناول القرآن الكريم قصص الأنبياء والمرسلين ويذكر طرفاً من معجزاتهم ومن المقرر أنه ليس الغرض من ذلك استقراء الوقائع ولا تحديد الأزمان ولا تناول الظروف والملابسات ولا تسجيل مجرد الحوادث والأشخاص ، ولا البحث التاريخي الاصطلاحي الفني وإنما الغرض من ذلك الهداية والعظة والعبرة وتقرير قواعد هذه الهداية في النفوس بذكر هذه القصص وعرض وقائعها أمام السامعين والقارئين والقرآن الكريم يصرح بهذا في وضوح فيقول (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدي ورحمة لقوم يؤمنون)

ومن المقطوع به كذلك عند كل مسلم أن كل ما ذكره القرآن في هذه الناحية حق لا شك فيه . وأن علم التاريخ الاصطلاحي لا يمكن أن يأتي بحقيقة تخالف ما جاء في قصة من القصص التي ذكرها القرآن الكريم فيكون ما ذكره القرآن الكريم زائداً عن علم التاريخ المجرد وقد يعجز التاريخ المجرد عن أن يجد الدليل بأسلوبه الخاص على ما ورد في القرآن الكريم ولكن يجب أن يلاحظ أن عجز علم التاريخ عن المعرفة أو الاستدلال ليس معناه عدم صحة ما جاء في القرآن : فليس انتفاء العلم بالشيء دليلا على عدم وجوده وهنا المزلق :

فالمؤرخون قسمان :قسم لا يؤمن بالقرآن الكريم ، ولا يتخذ وحيه دينا ، وهذا يقول عن القرآن لا يصح أن يكون عنده كتابا تاريخياً يعتمد عليه في بحوثه الفنية المجردة عن أي اعتبار آخر ، وهو معذور في هذا القول ، ولا ينتظر منه غيره ؛ لأنه لم يلتزم التصديق والإيمان بالقرآن من قبل . وقسم آمن بالقرآن وقام عنده الدليل على صدقه وعليه حينئذ واجبان :

أولهما : أن يكون أصدق الأدلة التاريخية عنده و أثبتها ما جاء في هذا القرآن عن الأمم و العصور التي أرخ لها أو تناولتها آياته.

وثانيهما : أن يرد عنه تكذيب الصنف الأول إن حاولوا ذلك أو أرادوه و أن يقيم لهم الدليل على خطئهم بالأسلوب التاريخي الفني ولن يعجزه ذلك متى أراده ولكن بعض الباحثين من هذا القسم يحلو له أن يتشبه بأولئك فيجرد من شخصيته المؤمنة بالقرآن شخصية أخرى يدعي أنها تاريخية بحتة لا تهتم بأي اعتبار آخر ثم يمضي في بحثه متقمصاً هذه الشخصية الجديدة وينسى تماما شخصيته الأولى فيزل ويهوى ؛ ولو عاد فذكر شخصيته المؤمنة وعقب على بحثه المجرد بما يفيد إيمانه بصدق هذا التاريخ القرآني ثم ناضل عن ذلك ودعمه بالأسلوب العلمي لقام ذلك عذراً له أمام إيمانه أولاً وأمام الناس بعد ذلك ، لاستحق الشكر والثناء . زل الدكتور طه حسين بك في هذا المزلق حين انتحل من قبل ما قاله أحد المستشرقين "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللإنجيل أن يحدثنا عنهما وللقرآن أن يفعل ذلك ولكن هذا لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي" وثار الناس عليه وهم محقون ولو قال بعد ذلك ولكني كمؤمن بالقرآن الكريم أثبت وجودهما التاريخي بهذا الدليل . وإذا كان البحث التاريخي المجرد بأدلته الفنية الخاصة لم يصل إلى إثبات شئ عن إبراهيم وإسماعيل فذلك لقصور قد يكشفه الزمن ، وقد نصل في المستقبل إلى ما عجزنا عنه الآن كما يحدث دائماً ، وأخيلة الأمس حقائق اليوم وأخيلة اليوم حقائق الغد. وحسب الكتب السماوية أن تضع أيدينا على طرف الحبل وعلينا بعد ذلك تمام